

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾
هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: 10 - 11]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لَمَّا دَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْحَرْبِ مَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ الْأَعْلَى،
وَلَمْ يَنْفَعِ أَهْلَ الشُّرْكَ قُوَّتُهُمْ، وَجَعَلْنَا ذَلِكَ سَبَبًا لِإِغْنَائِهِمْ بِأَمْوَالِ بَنِي
قُرَيْظَةَ وَنِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَشَفَاءَ لَأَدَوَاتِهِمْ بِإِرَاقَةِ دِمَائِهِمْ؛ ذَكَرَهُمْ
الشَّدَّةُ الَّتِي حَصَلَتْ بِتَمَائِلِهِمْ، فَقَالَ مُبَدِّلًا مِنْ ﴿إِذْ﴾ الْأُولَى: ﴿إِذْ
جَاءُوكُمْ﴾، أَي: الْجُنُودُ الْمَذْكُورُونَ بَادئًا بِالْأَقْرَبِ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ الْأَقْرَبَ
أَبْصَرَ بِالْعَوْرَةِ، وَأَخْبَرَ بِالْمَضْرَّةِ، وَهُمْ بَنُو قُرَيْظَةَ وَأَسَدُ وَغُطَفَانُ،
فَقَالَ: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾، أَي: أَسْفَلَ
مِنْ جِهَةِ الْأَرْضِ.

إِظْهَارُ النِّعْمَةِ
بِتَفْصِيلِ كَيْفِيَّةِ
مَجِيءِ الْأَحْزَابِ
بَعْدَ ذِكْرِ
مَجِيئِهِمْ مُجْمَعًا

وَلَمَّا ذَكَرَهُمْ بِالْمَجِيءِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْخَوْفِ؛ ذَكَرَهُمْ بِالْخَوْفِ
بِذِكْرِ ظَرْفِهِ أَيْضًا مَفْحَمًا لِأَمْرِهِ بِالْعَطْفِ، فَقَالَ: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ مِنْ شَدَّةِ الرُّعْبِ، وَلَمَّا نَشَأَ عَنْ ذَلِكَ تَقَلُّبُ
الْقُلُوبِ، وَتَفَاوَتْ الْإِيمَانِ فِيهَا، قَالَ: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾، وَلَمَّا
كَانَتِ الشَّدَّةُ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هِيَ لِلثَّابِتِ؛ لِأَنَّهُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا الْهَلَاكُ
أَوْ النُّصْرَةُ، قَالَ: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾^(١).

الْخَوْفُ فُطْرَةٌ
إِنْسَانِيَّةٌ

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿زَاغَتِ﴾: (زَيْغ) أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى مَيْلِ الشَّيْءِ⁽²⁾، وَالزَّيْغُ:
مُطْلَقُ الْمَيْلِ، وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْمَيْلِ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ وَالْإِعْتِدَالِ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15 / 300 - 303.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زَيْغ).

وَالزَّائِغُ: التَّمَايُلُ، وَزَاغَتِ الشَّمْسُ: مَالَتْ، وَرَجُلٌ زَائِغٌ، وَقَالَ ﷺ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: 5]، وَذَلِكَ لَمَّا فَارَقُوا الاستقامة؛ عاملهم بذلك⁽¹⁾.

(2) ﴿الْحَنَاجِرُ﴾: (حنجر) الحَنَاجِرُ: جَمْعُ حَنْجَرَةٍ، وَحُنْجُورٌ، وَالْحُنْجُورُ: الْحَقُومُ، وَالْحَنْجَرَةُ: رَأْسُ الْغَلْصَمَةِ مِنْ خَارِجٍ، وَالْغَلْصَمَةُ: رَأْسُ الْحَقُومِ، وَهِيَ الْمَوْضِعُ النَّاتِي فِي الْحَلْقِ⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾، أَي: رَفَعَتِ الرَّئُةُ الْقَلْبَ، وَانْتَفَخَتْ حَتَّى صَارَتْ عِنْدَ الْحَنْجَرَةِ؛ فَلَمْ تَرْجِعْ، وَلَمْ تَخْرُجْ⁽³⁾.

(3) ﴿وَزُلْزِلُوا﴾: (زل) زَلَّ فُلَانٌ عَنْ مَكَانِهِ وَزَلَزَلَهُ غَيْرُهُ يُزَلِّزُهُ، وَالزَّلْزَالُ: الشَّدَّةُ، وَالزَّلَازِلُ: الشَّدَائِدُ، وَأَصْلُهَا مِنَ التَّحْرِيكِ، أَي: وَزَلَزَلَهُ عَلَيْهِمْ، أَي: شَدَّدَ عَلَيْهِمْ، وَهَوَّلَ⁽⁴⁾، وَالزَّلْزَلَةُ: الْحَرَكَةُ الشَّدِيدَةُ، أَوْ شَدَّةُ الْحَرَكَةِ، وَتَكُونُ فِي الْأَشْخَاصِ وَالْأَحْوَالِ وَالْأَمَاكِينِ⁽⁵⁾، وَالزَّلْزَالُ بِالْكَسْرِ: الْمَصْدَرُ، وَالزَّلْزَالُ بِالْفَتْحِ: الْأَسْمُ⁽⁶⁾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾، أَي: أُرْجِعُوا بِالْخَوْفِ إِزْعَاجًا شَدِيدًا⁽⁷⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

تصويرٌ دقيقٌ
للسَّدَائِدِ فِي
غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْأَحْزَابَ جَاؤُوا الْمَدِينَةَ لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْلَى الْوَادِي، وَهُوَ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ، وَهُمْ غُطْفَانٌ، وَهُوَ زَنْ، وَأَهْلُ نَجْدٍ، وَبَنُو النَّضِيرِ، وَجَاؤُوا كَذَلِكَ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ مِنْ نَاحِيَةِ مَكَّةَ، وَهُمْ قُرَيْشٌ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْأَحَابِيشِ، وَيَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنْ وَجْهِ الْخَنْدَقِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ مَالَتْ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتْ

(1) الجوهري، الصَّاح، وَالزَّائِغُ، الْفُرْدَات: (زَيْغ).

(2) الزَّائِغُ، الْفُرْدَات: (حَنْجَر)، وَالْفَيْرُوزِيَادِي، الْقَامُوسُ الْحَبِط: (حَجَر).

(3) الْفُرَاءُ، مَعَانِي الْقُرْآن: 336 / 2.

(4) ابْنُ قَتِيْبَةَ، تَفْسِيرُ غَرِيبِ الْقُرْآن، ص: 348، وَالزَّائِغُ، الْفُرْدَات: (زَلْزَل).

(5) جَبَل، الْعَجْمُ الْاِشْتِقَاقِي: (زَل - زَلْزَل).

(6) الْفُرَاءُ، مَعَانِي الْقُرْآن: 283 / 3.

(7) الْفُرَاءُ، مَعَانِي الْقُرْآن: 219 / 4، وَالزَّمْخَشَرِي، الْكَشَّاف: 254 / 3.

القلوب الحناجر من شدة الخوف والفرع، وهنا ظن بعض من كان مع رسول الله ﷺ أن الدائرة على المؤمنين، وأن الله سيفعل ذلك، وظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق، وفي هذه الحال الصعب الشديد، ابتلي المؤمنون، واختبروا، وزلزلوا زلزالاً شديداً، حيث المسلمون - وهم محصورون - في غاية الجهد والضيق، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

نكتة فصل قوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ﴾:

جاء قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ﴾ مُبدلاً من ﴿إِذْ﴾ الأولى في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْكُم جُنُودٌ﴾، وذلك للتذكير للمسلمين بالشدة التي حصلت لهم بتمائى أعدائهم وتحزبهم ضدهم⁽²⁾، وقولت بنعمة تأييدهم ونصرهم من الله ﷻ.

بلغة التعبير بـ ﴿إِذْ﴾:

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ﴾ بدل من ﴿إِذْ جَاءَتْكُم جُنُودٌ﴾ في الآية السابقة بدل كل من كل⁽³⁾، أو مفصل من مجمل، و﴿إِذْ﴾ ظرف للزمن الماضي، وهي متعلقة بما تعلقت به ﴿إِذْ﴾ الأولى، وهو قوله تعالى: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ زمان جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم، فهزمهم الله، وردهم خائبين⁽⁴⁾، وفي هذا التفصيل زيادة إدراك ومعرفة بقيمة هذه النعمة على المؤمنين.

نكتة العدول عن ﴿جَاءَتْكُم﴾ إلى ﴿جَاءُوكُمْ﴾:

قوله: ﴿جَاءَتْكُم﴾ إشارة إلى المفرد المؤذن بالجماعة، حيث أسند إلى ﴿جُنُودٌ﴾، وفي قوله: ﴿جَاءُوكُمْ﴾ جمع أسند إلى ضمير

بيان وتفصيل
لنعمة الله على
المؤمنين بعد ما
كانوا فيه من
الشدائد

تذكر زمان
مجيء الأحزاب
من جميع
الجهات

نزول جيوش
الكفار في
أماكن مختلفة
بقصد الإحاطة
بالمسلمين

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 439، 441، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 348 - 349.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 300.

(3) السفي، مدارك التنزيل: 3/ 20، والالوسي، روح المعاني: 11/ 154.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 277، 280.

الغائبين، أي: جاؤوكم هم، والمراد: الجنودُ المجموعون من قبائل عديدة، ولكل قبيلة جيش، خرجوا متساندين لغزو المسلمين في المدينة⁽¹⁾، وفي هذا إشارة إلى أنهم جيوش كثيرة مختلفة، ونزلوا أماكن عدّة بقصد الإحاطة بالمسلمين، ثم إنَّ وَاو الجماعة تشير إلى كثرة عدد هذه الجيوش، ولكل جيش منها قائد.

بلاغة عود الضمائر في ﴿جَاءُوكُمْ﴾:

الضمائر في قوله تعالى: ﴿جَاءُوكُمْ﴾ تعود إلى الجنود المذكورين، بادئاً في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾، وكاف الخطاب للمسلمين؛ للدلالة على أنَّ مجيء الأحزاب لقتالكم هو هدفهم الأول وقصدُهم الأصيل، وهنا تعبير عن الأقرب منهم فالأقرب؛ لأنَّ الأقرب أبصر بالعمرة وأخبر بالمضرة⁽²⁾، وفيه تحذير للمسلمين؛ ليكونوا على أهبة الاستعداد لملاقاتهم بادئ ذي بدء.

بلاغة التعبير (من): ﴿مَنْ فَوْقَكُمْ﴾ و﴿وَمِنْ أَسْفَلٍ مِنْكُمْ﴾:

(من) في قوله تعالى: ﴿مَنْ فَوْقَكُمْ﴾ و﴿وَمِنْ أَسْفَلٍ مِنْكُمْ﴾ تفيد التبعية، وذلك أنَّه لما كان من المعلوم أنَّهم لم يحيطوا بالمؤمنين من كل الجهات، ولم يطبقوا ما علا، وما سفل، بل هو بعض كل منهما؛ أدخل أداة التبعية؛ تصويراً لتمام الوصف والحال بدقّة تامّة⁽³⁾.

بلاغة التعبير بالفوقية بدل العلو:

قال الله ﷻ: ﴿مَنْ فَوْقَكُمْ﴾ ولم يقل: من أعلاكم في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾، حتى يقابل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾؛ إذ الأسفل يقابله الأعلى، حتى لا يثبت للأحزاب وصف العلو؛ لأنَّ الكافر لا يعلو المسلم أبداً.

المجيء لقتالكم
هو هدف
الأحزاب الأصيل

جنود الأحزاب
لم يحيطوا
بالمؤمنين من
كل الجهات

عدم وصف
الأحزاب بالعلو

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 280 / 21.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 300 / 15.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 300 / 15.

دلالة الفوقية والسفلية بين الحقيقة والمجاز:

إيرادُ جهتي الفوقية والسفلية في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ على وجه الظاهر، أي: جاؤوكم من فوقكم، أي: من أعلى الوادي من جهة المشرق، ومن أسفل منكم، أي: من أسفل الوادي من قِبَلِ المغرب⁽¹⁾، ويحتمل أن يكون من فوق ومن أسفل على جهة المجاز، أي: كناية عن الإحاطة من جميع الجوانب، كأنه قيل: إِذْ جَاءُوكُم محيطين بكم، كقوله تعالى: ﴿يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 55]⁽²⁾.

إحاطة الجنود
بالمسلمين من
جميع جهات
المدينة

نكتة الترتيب في: ﴿مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾:

قدَّم النَّظْمُ الكريمُ الفوقية على السفلية في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾؛ للبدءِ بالأقرب من جنود الأحزاب إلى المسلمين؛ لأنَّ الأقرب أَبْصَرُ بالعورة وأخْبَرُ بالمضرة، وفي تقديم الفوقية تحذيرٌ لجيش المسلمين من أن يُؤْخَذُوا على حين غَرَّةٍ، فإنَّ مَنْ فوقهم أَلْصَقُ بهم، وأَمَكُنْ بهم مِمَّنْ هم أسفل منهم⁽³⁾.

مَنْ كان فوق هو
أقرب لمن تحته
بإيقاع المضرة

سر التعبير بالتسفل بدل التحتية للمقابلة للفوقية:

ذكر ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ في مقابل ﴿مِن فَوْقِكُمْ﴾، وكان من المتبادر أن يقول: من تحتكم؛ للدلالة على أنهم جمعوا بين التحتية المكانية الحسية التي نتجت عن وجودهم بالفعل، مع التسفل المعنوي الذي كان نتاجاً لكفرهم.

إثبات صفة
التحتية الحسية
وصفة التسفل
المعنوية

نكتة العدول إلى قوله: ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾:

لَمَّا كَانَ المرادُ الفوقية من جهة علو الأرض؛ أَوْضَحَهَا النَّظْمُ الكريمُ بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ دون أن يقول:

مقابلة جهة
السفل من
الأرض لجهة
العلو منها

(1) أبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 4/ 404، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 348 - 349.

(2) الألوسي، روح المعاني: 11/ 154.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 300.

أَسْفَلَكُمْ، وأفادَ ذلك أيضًا أنَّ مَنْ في أسفلٍ إنَّما أحاطوا ببعضِ جهةِ الرِّجال فقط⁽¹⁾.

معنى (مِنْ) في قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾:

(مِنْ) في قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ للتَّبْعِيضِ، أي: مَنْ كانوا أسفلَ بعضِ مِنْ جنودِ المسلمين، فإنَّ مَنْ كانوا أسفلَ مِنْكُمْ إنَّما أحاطوا ببعضِ جهتكم لا جميعها⁽²⁾.

بلاغة الوصل في قوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾:

لَمَّا ذَكَرَ النَّظْمُ الكريمُ المسلمينَ بمجيءِ الجيوشِ الْمُتَحَرِّبَةِ ضَدَّهُمُ الَّذِي هو سببُ الخوفِ؛ ذَكَرَهُمُ بالخوفِ بِذِكْرِ ظَرْفِهِ أيضًا، فاخْتَصَّصَهُمُ مِنْ ذِكْرِ الخوفِ العامِّ بِذِكْرِ ظَرْفٍ خاصٍّ مِنْهُ مُفَخِّمًا لِأَمْرِهِ بالعطفِ بِأداتِهِ (الواو)، فقال: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾⁽³⁾، فهو عطفٌ على ما قبلَهُ داخلٌ معه في حُكْمِ التَّذْكِيرِ⁽⁴⁾.

بلاغة التَّعْبِيرِ بِ(إِذْ) في: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ صُدِّرَ بِ(إِذْ) الَّتِي تعني: الظَّرْفِيَّةُ الزَّمَانِيَّةُ الماضية، أي: واذكروا حينَ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ⁽⁵⁾، وهي متعلِّقةٌ بـ﴿نِعْمَةً﴾ لما فيها مِنْ معنى الإنعام، أي: اذكروا ما أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ زَمَانَ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ في ذاكِ الموقِفِ العَصِيبِ، فَأَيَّدَكُمْ اللَّهُ بِالرَّيْحِ والملائكةِ⁽⁶⁾، وَصَلَةُ (إِذْ) بالفعلِ الماضي بيانٌ لحالةِ عَرَضَتْ، وَتَحَقَّقَتْ، ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهَا أَنَّهَا زَالَتْ، وَثَبَّتَتْ إِلَى انْقِضَاءِ الْأَمْرِ؛ فَعَبَّرَ عَنْهَا بِالماضي لذلك⁽⁷⁾.

تفخيمُ أمرِ
الخوفِ بِذكرِ
ظرفِهِ بِأداةِ
العطفِ

أذكروا نعمةَ
اللهِ عليكم
بالتَّأْيِيدِ والنَّصْرِ
حينَ تحقَّقَ
زَيْغَانُ الْأَبْصَارِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 301 / 15.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 301 / 15.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 301 / 15.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 404 / 4.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 301 / 15.

(6) ابن عاشور، التَّحْرِيرِ والتَّنْوِيرِ: 280، 277 / 21.

(7) البقاعي، نظم الدرر: 302 / 15.

بلغة المجاز في قوله: ﴿زَاعَتِ الْأَبْصَارُ﴾:

قوله تعالى: ﴿زَاعَتِ الْأَبْصَارُ﴾ كناية عن شدة الدهشة والحيرة الناتجة عن شدة الهلع والرعب، وهو تمثيل للميل عن الاستواء إلى الانحراف، فزيع البصر ألا يرى ما يتوجه إليه، أو أن يريد التوجه إلى صوب، فيقع في صوب آخر من شدة الرعب والاندفاع⁽¹⁾.

دلالة (أل) التعريفية في ﴿الْأَبْصَارُ﴾ و﴿الْقُلُوبُ﴾ و﴿الْحَنَاجِرُ﴾:

(أل) التعريف في الأبصار والقلوب والحناجر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاعَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ للعهد، أي: أبصار المسلمين وقلوبهم وحناجرهم، ولذلك يجعلها بعض العلماء عوضاً عن المضافات إليها، أي: زاعت أبصاركم، وبلغت قلوبكم حناجركم⁽²⁾.

بلغة المجاز: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾:

بلوغ القلوب الحناجر في قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ تمثيل لشدة اضطراب القلوب من الفزع والهلع حتى كأنها لأضطرابها تتجاوز مقارها، وترتفع طالبة الخروج من الصدور، فإذا بلغت الحناجر؛ لم تستطع تجاوزها من الضيق، فشبهت هيئة قلب الهلوع المرعود بهيئة قلب تجاوز موضعه، وذهب متصاعداً طالبا الخروج، فالمشبه القلب نفسه باعتبار اختلاف الهيئتين⁽³⁾.

نكتة التقديم على بلوغ القلوب الحناجر:

لما ذكر النظم الكريم بالمجيء في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ الذي هو سبب الخوف، ذكرهم بالخوف بذكر ظرفه أيضاً مفعلاً لأمره بالعطف، فقال: ﴿وَإِذْ زَاعَتِ الْأَبْصَارُ﴾؛ لأن الغفلة الناشئة عن الدهشة الحاصلة من

ميل الأبصار
عن وجهتها من
شدة الرعب
والهلع

أبصار المسلمين
وقلوبهم
وحناجرهم
أصابها ما
أصابها من شدة
الخوف

تصوير شدة
الهلع والخوف

الخوف يتجلى
أولاً في زيغان
الأبصار، ثم في
بلوغ القلوب
الحناجر

(1) الرّمخشي، الكشاف: 3/ 253، والتّسفي، مدارك التّنزيل: 3/ 20، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير:

280/ 21

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 280/ 21

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 280/ 21

الرُّعْب، إِنَّمَا تَظْهَرُ جَلِيَّةٌ أَوَّلَ مَا تَظْهَرُ عَلَى الْأَبْصَارِ؛ إِذْ تَمِيلُ عَنْ سَدَادِ الْقَصْدِ فَعَلَ الْوَالِيهِ الْجَزْعُ، ثُمَّ يَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ بِلَوْغِ الْقُلُوبِ الْحَنَاجِرَ؛ كَنَايَةً عَنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ وَالْخَفَقَانِ⁽¹⁾.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَتَظُنُّونَ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ﴾ للحال، أي: والحال أنكم - وفي هذا الوقت العصيب، وقد جاءكم أعداؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر - تظنون بالله الظنون⁽²⁾.

دلالة التعبير بالفعل المضارع ﴿وَتَظُنُّونَ﴾:

جاء بالفعل المضارع ﴿وَتَظُنُّونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾؛ للدلالة على تجديد تلك الظنون بتجدد أسبابها؛ كناية عن طول مدة هذا البلاء⁽³⁾ وشدته، وكذلك فإن فيها استحضار الصورة، والدلالة على الاستمرار⁽⁴⁾ مع التجدد.

نكتة حذف مفعولي الظن:

حذف مفعولا ﴿وَتَظُنُّونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ بدون وجود دليل يدل على تقديرهما، فهو حذف لتنزيل الفعل منزلة اللازم، ويسمى هذا الحذف عند النحاة الحذف افتصاراً، أي: للاقتصار على نسبة فعل الظن لفاعله، والمقصود من هذا الحذف أن تذهب نفس السامع كل مذهب ممكن، وهو حذف مستعمل كثيراً في الكلام الفصيح، وعلى جوازه أكثر النحويين، ومنه قوله تعالى: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾⁽⁵⁾ [النجم: 35].

بلغة الإدماج في الظن:

في صيغة المضارع في قوله: ﴿وَتَظُنُّونَ﴾ معنى التعجب من

تجدد الظنون
واستمرارها
لطول مدة البلاء

الحذف اقتصاراً
يدعو السامع
إلى تقدير ما
يناسب السياق

إدماج العتاب
بالامتنان مظهر
التعجب
من الظنون،
وتفاوت أنظار
أهلها

(1) البقاعي، نظم الدرر: 301/15.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 281/21.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 281/21.

(4) الألويسي، روح اللعاني: 155/11.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 281/21.

ظنونهم لإدماج العتاب بالامتنان، فإنَّ شدةَّ الهلع الذي أزعَّ الأبصارَ، وجعلَ القلوبَ بمثلِ حالة أن تبلغَ الحناجرَ، دلٌّ على أنَّهم أشفقوا من أن يهزموا؛ لما رأوا من قوَّة الأحزاب وضيقِ الحصارِ، أو خافوا طولَ مدَّة الحربِ وفناء الأنفسِ، أو أشفقوا من أن تكونَ من الهزيمة جراءةً للمشركين على المسلمين، أو نحو ذلك من أنواعِ الظُّنون، وتفاوتِ درجاتِ أهلها⁽¹⁾.

بلادةُ التَّضمينِ في ﴿وَتَظُنُّونَ﴾:

ضُمِّنَ ﴿وَتَظُنُّونَ﴾ معنى تُلَحِّقُونَ، أي: تُلَحِّقُونَ باللهِ الظُّنونَ، وقولُهم: ظننَّتُ به، معناه: جعلتُه موضعَ ظنِّي، فعُدِّي لذلك بالباءِ⁽²⁾.

دلالةُ الباءِ في قوله: ﴿بِاللَّهِ﴾:

الباءُ في قوله تعالى: ﴿بِاللَّهِ﴾ للمُلابسة، وليسَتِ الباءُ هنا بمنزِلَتِها في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾⁽³⁾ [النساء: 6]، أي: ليستَ داخلةً على الفاعلِ، والتَّقديرُ: وتُلَحِّقُونَ باللهِ الظُّنونَ.

وقيل: إنَّ الباءَ بمعنى (في)، فمَجْرُورُها معمولٌ للفعلِ قبلَها، كأنَّكَ قلتَ: ظننَّتُ في الدَّارِ، ومثله: شَكَّكْتُ فيه، أي: فالِباءُ بمعنى (في).

نكتةُ تقديمِ شِبْهِ الجُملةِ ﴿بِاللَّهِ﴾:

قدَّمَ النِّظْمُ الكريمُ شِبْهَ الجُملةِ ﴿بِاللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾؛ للدَّلالةِ على مزيدِ اللُّومِ والإنكارِ؛ لما وصلَ إليه حالُ بعضِ المسلمين وحالُ المنافقين واليهودِ من سوءِ الظنِّ باللهِ، أي: في تحقُّقِ وعدهِ بالتَّصريحِ للمسلمين، فقدَّمَ لفظُ الجلالةِ ﴿بِاللَّهِ﴾؛ رعايةً واهتمامًا كبيرًا بمنَّ له صفاتُ الكمالِ، فلا يُلَمُّ نقصٌ ما بساحةِ عظمته، ولا يدنو شيءٌ من شيءٍ إلى جنابِ عزَّتِهِ ﷻ⁽³⁾.

الدَّلالةُ على
الفعلِ المحذوفِ

اللهُ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ
مَنْ أَنْ يُخْلِفَ
وَعْدَهُ بِالتَّصْرِيحِ
تَحَقُّقٌ بِأَسْبَابِهِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 281 / 21.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 281 / 21.

(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 302 / 15.

شمولُ أجناسِ
الظُّنونِ الكثيرةِ
كلِّ أنواعِ النَّاسِ
وأفرادهم

بلاغةُ (أل) في «الظُّنونِ»:

(أل) في «الظُّنونِ» للجنس أو الاستغراق، فأما على الجنس؛ فهي جنسُ لأنواعِ الظَّنِّ، إمَّا بالنسبةِ إلى الأشخاص؛ فواضحٌ، وذلك بحسبِ قوَّةِ الإيمانِ وضعفه، وإمَّا بالنسبةِ إلى الشَّخصِ الواحدِ؛ فبحسبِ تغيُّرِ الأحوالِ، فتارةً يظنُّ الهلاكَ للضعفِ، وتارةً النِّجاةَ؛ لأنَّ اللهَ قادرٌ على ذلك، وتارةً يظنُّ المنافقون أنَّ المسلمين يُستأصلون، ويظنُّ المؤمنون أنَّهم يُبطلون⁽¹⁾، وأما على الاستغراق؛ فتكونُ الظُّنونُ على اختلافِ أجناسِها شاملةً كلِّ أنواعِ الناسِ وأفرادهم.

بلاغةُ ذِكْرِ المفعولِ المطلقِ: «الظُّنونِ»:

قوله تعالى: «الظُّنونِ» انتصبتْ على المفعولِ المطلقِ المؤكِّدِ المبينِ للعددِ أو النوعِ، فهو جمعُ ظنٍّ يفيدُ أعدادًا وأنواعًا مِنَ الظُّنونِ⁽²⁾.

بلاغةُ القراءاتِ المتواترةِ في «الظُّنونِ»:

في قوله تعالى: «الظُّنونِ» أربعُ قراءاتٍ متواترةٍ⁽³⁾، الأولى: بإثباتِ الألفِ في الوصلِ والوقفِ، وفيها إشارةٌ إلى اتِّساعِ الأفكارِ، وتشعُّبِ تلكِ الخواطرِ، والثانية: بحذفِ الألفِ وصلًا ووقفًا، وفيها إشارةٌ إلى ضعفِ الخواطرِ في هذا الشأنِ، وعدمِ اتِّساعِ الأفكارِ في هذه الحالِ، أما القراءةُ الثالثةُ؛ فإِثباتُ الألفِ وقفًا، وحذفُها وصلًا، وفيها إشارةٌ إلى اختلافِ الحالِ تارةً بالقوَّةِ، وتارةً بالضعفِ، والقراءةُ الرابعةُ: بحذفِ الألفِ في الوصلِ، وإثباتِها في الوقفِ، وفيها إشارةٌ إلى اختلافِ الحالِ تارةً بالضعفِ، وتارةً بالقوَّةِ⁽⁴⁾.

الإشارةُ إلى
قوَّةِ الظُّنونِ
وضعفها

(1) الزَّمَخْشَرِيُّ، الكَشَّاف: 3/ 253، والبقاعي، نظم الدرر: 15/ 303.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 21/ 282.

(3) الأولى قراءة نافع، وابن عامر، وشعبة أبي بكر عن عاصم، وأبي جعفر، والثَّانِيَةُ قراءة أبي عمرو، وحمزة، ويعقوب، والثَّالِثَةُ قراءة خلف، والرَّابِعَةُ قراءة ابن كثير وحفص عن عاصم، والكسائي، يُنظَرُ: ابن مجاهد، السَّبْعَةُ، ص: 519 - 520، وأبو عمرو، التَّبْسِيرُ، ص: 178، وابن الجزري، تحبير التَّبْسِيرِ، ص: 511.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 303، ومكي ابن أبي طالب، الكشف: 2/ 195، وابن خالويه، الحجة، ص: 289، وابن زنجلة، حجة القراءات، ص: 572 - 574، والعكبري، إملاء ما مَنَّ به الرَّحْمَنُ: 2/ 191.

نكتة فصل قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾:

جاء قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾ ترجمةً لحال المؤمنين في تلك الداهية الشديدة والواقعة المرعبة، بعد ترجمة حال الجميع من المؤمنين والمنافقين على اختلاف درجات المؤمنين في إيمانهم، لذلك اختلفت ظنونهم فجمعت، فالشدّة في الحقيقة إنّما هي للثابت على دينه؛ لأنّه ما عنده إلا الهلاك أو النّصرة، وأمّا المنافق فيلقى السّلم، ويُدخل داره الذّل بالموافقة على جميع ما يُراد منه⁽¹⁾.

نكتة الإشارة باسم الإشارة البعيد ﴿هُنَالِكَ﴾:

الإشارة بالطرف في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾ للمكان البعيد، أي: في ذلك المكان الدّخض، وهو الخندق، ويمكن أن يكون ظرف زمان لما حدث من ابتلاء شديد في ذاك الوقت العسير على المسلمين وأعدائهم⁽²⁾، وأياً كانت هذه الإشارة للمكان أو الزّمان، فإنّها تعبير عن بُعد الرّتبة في كليهما⁽³⁾.

نكتة التعبير بـ ﴿أَبْثُلَى﴾ مادّةً وصيغةً:

الابتلاء: أصله الاختبار الذي فيه بليّةٌ وشدّةٌ، ويُطلق كنايةً عن إصابة الشّدّة؛ لأنّ اختبار حال الثّبات والصّبر لازم لها، وجاء بصيغة البناء للمجهول؛ تعبيراً عمّا حدث ومضى، وإشارة إلى أنّ ذاك الابتلاء مع شدّته، لم يُزعزع إيمان المسلمين، بل زادهم إيماناً⁽⁴⁾، وتأدّباً مع الله تعالى في عدم نسبة الابتلاءات والشّدائد إليه سبحانه، على حدّ قول الله تعالى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الحج: 10]، وللدلالة على أنّ المقصود إنّما هو معرفة المخلص من غيره، مع العلم أنّ فاعل ذلك

فَصِلَ مَا بَيْنَ
حَالِ الْعَامَّةِ
الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ
فِي إِيمَانِهِمْ
وَحَالِ الْمُؤْمِنِينَ

بُعْدُ رَتَبَةٍ مَا
حَدَّثَ بِالزَّمَانِ
وَالْمَكَانِ

فِي الْإِبْتِلَاءِ ثَبَتَ
الْمُؤْمِنُونَ، وَظَهَرَ
إِخْلَاصُهُمْ لِلَّهِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 303 / 15.

(2) السّمين، الدّر للصون: 99 / 9.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 303 / 15.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 283 / 21.

هو الذي له الأمر كله ﷺ⁽¹⁾، وذكرُ الابتلاءِ مِنْ بابِ التَّمثِيلِ، والمُرَادُ: عاملهم ﷺ معاملةَ المختبرِ، فظهرَ المخلصُ مِنَ المنافقِ، والراسخُ مِنَ المتزلزلِ⁽²⁾.

سرُّ التعبيرِ ب(أل) للوصولة في ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾:

(أل) في قوله تعالى: ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ موصولةٌ، والموصولُ مِنْ صيغِ العمومِ، وإن خَصَّصَ السِّيَاقُ في قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ هذا العمومَ، فقد بقي هذا العمومُ إلى يومِ القيامةِ بابتلاءِ المؤمنين في الشَّدائدِ، واستحقاقِ أهلِ الثَّباتِ والصَّبْرِ والظَّنِّ الحسنِ باللهِ منهم نصَرَ اللهُ تعالى بجنودٍ من عنده، فالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ عَاهَدَ مِنْهُمْ الْإِيمَانَ، وَاسْتَحَقُّوا هَذِهِ الرُّتْبَةَ الْعَالِيَةَ، وَخَاصَّةً زَمَنَ الشَّدَائِدِ وَالْأَزْمَاتِ، هُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْإِيمَانِ بِمَا شَأْنُهُ أَنْ يُعْرَفَ بِهِ إِخْلَاصُهُمْ عِنْدَمَا يُخَالِطُهُ مَا يُمِيلُهُ بِرَوْنَقِهِ وَعُنفَوَانِهِ⁽³⁾.

نكتةٌ حذفِ متعلِّقِ الابتلاءِ:

حُذِفَ متعلِّقُ الابتلاءِ في قوله تعالى: ﴿أَبْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لمعرفتهِ مِنَ السِّيَاقِ فيما تقدَّمهُ مِنْ قولِهِ: ﴿هُنَالِكَ﴾، أي: في الزَّمنِ الماضي القريبِ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ بِالذُّعْرِ وَالْأَنْزَعِاجِ مِنْ أَحْزَابِ الْعَدُوِّ الَّذِينَ فَاقَوْهُمْ عَدَدًا وَعُدَّةً، فَلَمْ يُزَعِزْ ذَلِكَ إِيْمَانَهُمْ⁽⁴⁾، ثُمَّ إِنَّ حَذْفَ متعلِّقاتِ الأفعالِ دالٌّ على العمومِ، أي: إِنَّهُمْ ابْتَلَوْا بِمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ، وبألوانٍ متعدِّدةٍ مِنَ الابتلاءِ.

بلاغةُ الواوِ في قوله: ﴿وَزُلْزِلُوا﴾:

الواوِ في قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ عاطفةٌ لفعْلِها على ما تقدَّمهُ مِنْ فعلٍ في قوله تعالى: ﴿أَبْتُلِيَ﴾، أَكَّدَتْ مَعْنَى الْإِبْتِلَاءِ وَبَالَغَتْ فِي

كُلُّ الْمُؤْمِنِينَ
الْمَخْلَصِينَ
الثَّابِتِينَ
فِي الْإِبْتِلَاءِ
يَسْتَحَقُّونَ نَصَرَ
اللَّهِ

الْإِبْتِلَاءُ بِالذُّعْرِ
مِنْ تَفَوُّقِ
الْأَعْدَاءِ لَا يُعْكَرُ
إِيْمَانُ الْأَضْفِيَاءِ
دَائِمًا

الْبَالِغَةُ فِي وَصْفِ
الْإِبْتِلَاءِ بِذِكْرِ
نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 303 / 15.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 303 / 15.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 283 / 21.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 303 / 15.

وصفه بالزلزلة، فأفادت قوة الحركة وشدة الدفع والقلق من تضايف الأعداء مع كثرتهم وتطاير الأراجيف⁽¹⁾، وفي ذلك كله مبالغة في وصف الابتلاء بذكر نوع من أنواعه.

دلالة التعبير بفعل الزلزلة:

الزلزال: اضطراب الأرض وتحركها تحركاً شديداً، وهو مضاعف الفعل (زل) تضعيفاً يفيد المبالغة بالتكرار، والاستبحار في تصوير حقيقة هذه الزلزلة في واقع الحال من شدة الهول والفزع.

بلغة الاستعارة: ﴿وَزُلْزِلُوا﴾:

ما وقع بالمؤمنين في ذلك الزمن العسير المشحون بالدعور والانزعاج الشديد، عبّر عنه النظم الكريم بفعل الزلزلة مع وصفها بالشدّة في قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾، وهذا التعبير استعارة لاختلال الحال اختلالاً شديداً بحيث تختل مضطربة اضطراباً شديداً كاضطراب الأرض، وهو أشد اضطراباً للحاقه أعظم جسم في هذا العالم⁽²⁾.

دلالة تنكير ﴿زِلْزَالًا﴾:

ساق النظم الكريم قوله تعالى: ﴿زِلْزَالًا﴾ بصيغة النكرة للمبالغة في الوصف، فهو مصدر مفعول مطلق مؤكد للفعل ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ مبين للنوع بالوصف⁽³⁾، أي: زلزالاً عظيماً قوياً شديداً بالغ العظم والقوة يزيل القلوب عن أماكنها.

نكتة وصف الزلزال بالشدّة دون الابتلاء:

لم يؤكد النظم الكريم الابتلاء بالشدّة، فلم يقل: ابتلاء شديداً، كما قاله في ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾؛ لدلالة الافتعال عليها،

زلزلة المؤمنين
كاضطراب
الأرض واختلال
حاليها

العظم والقوة
والشدّة

الافتعال في
الابتداء دليل
على الشدّة
بذاته

(1) الألوسي، روح المعاني: 11 / 155.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21 / 283.

(3) السمين، الدر للصون: 9 / 99.

فصيغتها الابتلاء، وهي الافتعال، عبّرت عن معنى الشدة دون حاجة لوصفه بها⁽¹⁾.

نكتة تقديم الابتلاء على الزلزال:

سمّى الله تعالى ما أصاب المؤمنين ابتلاءً، وقدمه على الزلزال في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلَالًا شَدِيدًا﴾؛ إشارة إلى أنه لم يُزعزع إيمانهم، ولم يؤثر فيهم مثل ما فعل الزلزال، بل ثبتوا عند الابتلاء بتثبيت الله لهم على عهدهم، أما الزلزال الشديد؛ فقد فتّ في عضد كثير منهم، وأما قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا﴾؛ فإشارة إلى شدة الانزعاج والذعر والقلق بحكم الجيلة البشرية، وهم يرون أحزاب العدو تفوقهم عدداً وعدة، وقد تضافروا يريدون إنهاء وجودهم واستئصال شأفتهم⁽²⁾.

❁ الفرق المجمعية:

الزَّيغ والميل والانحراف والعوج:

الزَّيغ: الميل عن الاستقامة، وغالباً لا يكون إلا بالميل عن الحق، يقال: فلان من أهل الزَّيغ، ويُقال أيضاً: زاع عن الحق، ولا يُعرف زاع عن الباطل؛ لأن الزَّيغ اسمٌ لميلٍ مكروه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: 5]، وأما الميل؛ فهو عامٌ في المحبوب والمكروه⁽³⁾. وحرف الشيء: طرفه، يقال: حرف السيف، وحرف السفينة، وانحرف عن كذا، وتحرف، واحترف، وتحريف الكلام: إمالته، قال ﷺ: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46]، والانحراف عن الشيء: الميل والعدول عن الشيء⁽⁴⁾، بالوصول إلى حرفه، وهذا أدعى إلى الميل والوقوع، ويكون في المعاني والأعيان.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 303/15.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 304/15، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 283/21.

(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 269، والرَّاعِب، للفرادات: (زيغ).

(4) الرَّاعِب، المفردات، والرَّازِي، مختار الصحاح: (حرف).

الابتلاء لم
يُزعزعَ إيمان
المؤمنين وإن
كان قد أصابهم
القلق

تشتبك في معنى
الميل عمومًا،
ويختص كل
واحدٍ منها
بمعنى، أو
بقيد، أو بوصف

والْعَوَجُ: العَطْفُ عن حالِ الانتصابِ، يقال: عَجْتُ البعيرَ بزمامِهِ، والعَوَجُ يقال فيما يُدْرَكُ بالبصرِ إدراكًا سهلًا كالخشبِ المنتصبِ ونحوه.

والعَوَجُ يقال فيما يُدْرَكُ بالفكرِ والبصيرة، كالدينِ والمعاشِ والكلامِ، قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزُّمَر: 28]، فالعَوَجُ بالكسرِ في المعاني، والعَوَجُ بالفتحِ في الأعيان، والأَعْوَجُ يَكْنَى به عن سَيِّئِ الخُلُقِ⁽¹⁾.

الابتلاء والامتحان والفتنة:

الابتلاءُ: الاختبارُ الَّذِي يصحبُ بالبلية، ويُطلق كنايةً عن إصابة الشدة؛ لأنَّ اختبارَ حالِ الثباتِ والصبرِ لازمٌ لها، والابتلاء لا يكونُ إلا بتحميلِ المكارِه والمشاقِّ، وبلوَّتُهُ: اختبرته، قال تعالى: ﴿هَٰذَا لِكُلِّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: 30].

والمَحْنُ والامْتِحَانُ نحو الابتلاءِ، قال تعالى: ﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [المتحة: 10]، والامْتِحَانُ: اختبارٌ فيه محنةٌ، وهو ما يمتحنُ به الإنسانُ من بليَّةٍ، وامْتَحَنَهُ: اختبره، والاسْمُ: المحنة⁽²⁾.

الفتنة: أشدُّ الاختبارِ وأبلغه، فهي أعلى درجةٍ من الامتحان والاختبار، وأصله: عَرَضُ الذَّهَبِ على النَّارِ لِتَبَيِّنِ صلاحِهِ مِنْ فسادِهِ، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذَّارِيَات: 13]، ويكونُ في الخيرِ والشرِّ، كما في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التَّغَابُن: 15]، فجعلَ النُّعْمَةَ فتنةً؛ لأنَّه قصدَ بها المبالغةَ في اختبارِ المنعمِ عليه بها، كالذهبِ إذا أُريدَ المبالغةُ في تعرُّفِ حالِهِ، واللَّهُ تعالى لا يختبرُ العبدَ لتغييرِ حالِهِ في الخيرِ والشرِّ، وإنما المرادُ بذلك شِدَّةُ التَّكْلِيفِ⁽³⁾.

الابتلاء: اختبارٌ فيه بليَّة، والامتحان: اختبارٌ فيه محنة، والفتنة: اختبارٌ فيه عذابٌ

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 379، والزَّاغِب، للفردات: (عوج)، والكفوي، الكَلِّيات: 3/ 185.

(2) الزَّاغِب، للفردات، وابن منظور، اللِّسان: (محن).

(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 396 - 397، والزَّاغِب، للفردات: (فتن).

المجيء والإتيان:

المجيء أعم
من الإتيان،
ويشتركان
في الأغراض
والأغراض

المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم؛ لأن الإتيان مجيءٌ بسهولة، والإتيان قد يُقال باعتبار القصد، وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يُقال اعتباراً بالحصول، ويُقال: جاء وأتى في الأعيان والمعاني، وفي الخير والشر، ولما يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً، قال الله ﷻ: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلُمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: 4]، أي: قصدوا الكلام وتعدوه، فاستعمل فيه المجيء، كما استعمل فيه القصد، وقال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: 1]، والإتيان يكون من قريب في الزمان والمكان، والمجيء يكون من بعيد في الزمان والمكان.

والمجيء يأتي بمعنى الاستحضار، وجاء بكذا: استحضره، نحو: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ [النور: 13].

وقولك: جاء فلان، كلام تام لا يحتاج إلى صلة، وقولك: أتى فلان، يقتضي مجيئه بشيء، ولهذا يُقال: جاء فلان نفسه، ولا يقال: أتى فلان نفسه، ثم كثر ذلك حتى استعمل أحد اللفظين في موضع الآخر⁽¹⁾.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 152، والرَّاعِب، المفردات: (أتى) و(جاء)، والفيروزآبادي، البصائر: 1/ 412.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-97-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»